

رحلة السمكة الشجاعة

سندس خليفة

للتواصل

sondesskhalifa@gmail.com

كتب أخرى للمؤلفة

Et toi, qu'est-ce que tu sais faire ? 2013

Écoutez vos émotions. 2015

Maman je n'aime pas l'école, 2016

Clés pour l'éducation au 21^{ème} siècle, 2020

.Nous sommes comme les vagues, 2022

.Histoires d'anges, 2023

.Cultivez la joie, 2023

Loupo, 2024

تابعني على قناة يوتيوب اقرا خير

كل الحقوق محفوظة للمؤلفة

9789938796483 Isbn

MB Print 2025

المقدمة

كنا في السيارة على طريق ساحلي. إلى يميني كانت هناك مجموعة من الخزانات الضخمة في الماء. كنت أرى هذا لأول مرة...

- ما هذا ؟

- إنها أقفاص لتربية الأسماك.

- حقًا ؟ وكيف يطعمونها ؟

- يعطونها نوعًا من المسحوق، بودرة مستخرجة من نفايات حيوانية.

- إذًا، السمك الموجود داخل القفص يظن أنه يعيش بشكل طبيعي،

في البحر، لكنه في الحقيقة يعيش في نوع من السجن، أليس كذلك

!؟

- نعم. صحيح إلى حد ما.

دار هذا الحوار مع صديق لي في ذلك اليوم. وهكذا بدأت هذه القصة

تتشكل في ذهني تدريجيًا.

أتمنى لكم قراءة ممتعة !

اللقاء الاول

بائس سمكة صغيرة تعيش في مزرعة اسماك، هذه المزرعة هي قفص كبير في مياه البحر. ينتمي بائس الى عائلة أسماك مزرعة تعيش منذ زمن في سلام و سعادة تامة.

كان بائس ذكيًا جدًا، لدرجة أنه أحيانًا يزعج والديه بأسئلته الغريبة. كان يحب السباحة و اللعب قرب الشباك التي تمثل حدود عالمه، وكان يسأل أمه كل يوم :

- ماما ماذا يوجد وراء تلك الحدود ؟ ماما، قولي لي ارجوك !

كانت أمه تصرخ في وجهه و تذكره بالخطر الكامن هناك :

- اياك ان تقترب من حدود عالمنا يا صغيري ! عدني أن لا تقترب

من الحدود، توجد اشياء خطيرة هناك !

- حسنًا، أعدك يا أمي...

لكن في أعماقه، كان بائس يعرف أنه سيعود. كان يعشق الاكتشافات،

ولم يكن يشعر بالراحة مع جيرانه، تلك الأسماك مطيعة جدًا !

في يوم من الأيام، بالقرب من الشباك التي تمثل حدود عالمه، رأى بائس سمكة تشبهه. اقترب بحذر دون ان يلمس الشباك ليرى السمكة عن قرب.

شعرت السمكة بشخص يراقبها فاستدارت بسرعة :

- أوه، آسف، لم أكن أريد إخافتك. كنت فقط أبحث عن أصدقاء

جدد. ما اسمك؟

- اسمي "بحار"، أنا سمكة برية.

- رائع ! إذا نحن متشابهان، أنا أيضاً سمكة واسمي بئس.

- يا له من أحمق !

- ماذا قلت ؟

- آه... لا شيء. لكن في الحقيقة، نحن لسنا متشابهين. أنا سمكة برية

أما أنت، فسمكة مزرعة. هناك فرق كبير بيننا.

- سمكة مزرعة...!؟!

لم يفهم بئس معنى هذه الكلمة، و لكن لا يهم. المهم أن لديه صديقا

جديدا مختلفا. سوف يعود كل يوم إلى نفس المكان حتى يلعب معه و

يتحدث اليه، يبدو أنه يعرف الكثير من الأشياء !

بئس يعشق المعرفة و الاكتشافات، لا يجب الحياة الروتينية و أوامر أمه

التي تبدأ كلها ب "لا": لا تذهب ! لا تفعل ! لا لا لا. دائما لا !

- إلى اللقاء بحار ! يجب أن أذهب الآن حتى لا تقلق أمي. سوف

أعود غدا. إلى اللقاء !

أرسم المشهد هنا

العالم الحقيقي

على حدود عالمه، بالقرب من الشبكة، كان بئس يزور صديقه كل يوم ليلعب ويتحدث معه. و بدأت صداقة متينة تنمو بينهما.

لكن في يوم من الأيام، كان بحار متوترا، يحس أنه لم يكن صريحا تماما مع هذه السمكة الصغيرة التي تعتبره "صديقا مقربا".

- اسمع يا بئس، كنت أرغب في التحدث إليك منذ فترة، لكنني لم أكن أملك الشجاعة. لا اريد أن أصدك... لكن يجب أن تعرف الحقيقة.

- ما هي الحقيقة ؟

تردد بحار لحظة ثم قال :

- أنت سمكة مزرعة...

- نعم، وماذا في ذلك ؟

- بئس اسمع، أنت سمكة مزرعة، وأنا سمكة برية، هناك فرق كبير بيننا.

أنا أعيش في البحر، في العالم الحقيقي. أنا حر، أستطيع الذهاب إلى

أي مكان. أما أنت، فتعيش في قفص عائم في البحر، لا يمكنك أن

تذهب أبعد من تلك الشباك، الشباك هي حدود عالمك. أما أنا،

فأنا أذهب أينما أريد...

بائس ينظر الى بحار، دقائق قلبه تتسارع، لا يستطيع أن يفهم...

- لا، هذا غير صحيح !

انطلق بائس بسرعة نحو صديقه ليثبت له أنه حرو يمكنه السباحة أينما شاء هو أيضًا. لكنه اصدم بالشباك و شعر بألم كبير من جراء صعقة كهربائية، فابتعد بسرعة.

- أرايت يا بائس ؟ كلما اقتربت من الشبكة تتلقى صعقة كهربائية فتضطر للتراجع. كل عائلتك شعرت بهذا الألم، ولهذا يقولون لك دائمًا " لا " ، لا تذهب، لا تقترب، لا تفكر، لا لا لا، لا تقترب من حدود العالم. هل فهمت الآن ؟

- لا ! هذا غير صحيح !

كان بائس في حيرة كبيرة و غضب حاد، عاد سريعًا إلى أمه ليبحث عن إجابات.

- ماما، لدي صديق بري يقول إننا في سجن، ويقول إننا سمك...

- سمك ماذا ؟

- إنها كلمة جديدة، يقول إننا سمك مزرعة.

- نعم، نحن عائلة كبيرة من سمك المزارع. نحن نوع مختار من حراس المزارع لنحكم هذه الشبكة، هذا عالمنا.

- لا ماما ! (يصرخ بائس بكل قوته) ... أنتِ لم تفهمي ما قاله، يقول

إننا سمك مزرعة ! يعني أننا نعيش في قفص عائم، في سجن، بينما

هو سمكة برية، هو حر، يستطيع أن يذهب أينما شاء. هو يعيش

في العالم الحقيقي، بينما نحن نعيش في سجن صغير في العالم الكبير.

- هههه، (ضحكت أمه) هذه خرافات، لا يجب أن تستمع إليها يا

عزيزي، سوف تفسد عقلك وتجعلك غير متوازن. هذه الأسماك

البرية في الحقيقة هي أسماك تم طردها من عالمنا الجميل منذ زمن

بعيد. طردهم الحراس ومنعواهم من دخول عالمنا الجميل. لا يمكنهم

تجاوز حدود عالمنا ليصلوا إلينا لأنهم مضطربون عقلياً، تفكيرهم

مضطرب، تم إبعادهم من أجل مصلحتنا. هم في سجن، وليس نحن.

هل فهمت يا صغيري ؟

بدأت حجج والدته منطقية، فهدأ بائس، وشعر بشيء من الاستقرار

العقلي. قرر أن يذهب ليتنزه قليلاً حول البيت لينسى هذه القصة. يحس

انه لا يرغب في رؤية تلك السمكة البرية مرة أخرى.

أرسم المشهد هنا

البودرة البيضاء

- اهلا بائس !

اقترب بحار من حدود العالم وأشار إلى بائس الذي كان يسبح بجانبه.
حاول بائس تجاهله، حاول ان يتجنب تلك النقاشات التي تربكه. لكنه
لم يستطع مقاومة فضوله لمعرفة المزيد.

- اهلا بحار ! كيف حالك ؟ هل تناولت القليل من الطعام اليوم ؟
(كان يظن أن صديقه يعاني من الجوع في القفص، والدته قالت ان
الأسماك الموجودة خارج عالمهم تعيش في قفص).

ضحك بحار بصوت عالٍ.

- هل تمزح معي ؟ لدينا أفضل طعام في البحر هنا ! نأكل السردين...
شعر بائس بالارتباك مجددًا، لم يفهم هذه الكلمة الجديدة.

- ما هو السردين ؟

إنه الطعام الذي نأكله هنا، طعام حي ومختلف تمامًا عن تلك البودرة التي
تبتلعونها في سجنكم.

بدأ بائس يشعر بالغضب :

- لماذا يتحدث معي بهذه الطريقة ؟ هذه البودرة هي الطعام الوحيد
الذي أعرفه، لا أفهم ما يقوله !

استمر ببحار في حديثه وكأنه لم يلاحظ انزعاج صديقه.

- اسمع يا بئس، تلك البودرة هي طعام صناعي مُعد خصيصًا لكم.
إنها تُستخدم لتغذيتكم بطريقة تجعلكم هادئين وخاضعين... أنتم
سمك مزارع. أما نحن، الأسماك البحرية البرية، فلا نأكل هذه البودرة
أبدًا.

غضب بئس و توجه مسرعًا إلى المنزل ليسأل والدته.

- تعال، يا بئس، لا تذهب بسرعة هكذا ! دعني أشرح لك...
لكن بئس كان قد رحل بالفعل. هذه المرة، كان غاضبًا جدًا وهو يصرخ
في وجه أمه :

- أمي، هل سبق أن أكلتِ السردين ؟

- بالطبع لا ! انتبه يا عزيزي، هذا طعام مسموم لا يوجد إلا في
السجون. نحن نأكل البودرة الجيدة التي أعدها الحراس خصيصًا لنا،
لأننا لسنا مثل أي سمك، نحن أسماك مزرعة مميزة.

- لا، أميبيبيبي ! لقد تعبت من هذه القصة ! أعتقد أننا بالفعل نعيش
في سجن كما يقول صديقي. انت لم تأكلي السردين من قبل،
لذلك لا تعرفين أصلا ما هو !

- بئس، يا صغيري، أمنعك من رؤية بَحّار مرة أخرى ! ألا ترى لماذا طرده الحراس من عالمنا ؟ إنه غريب الأطوار وسيجعلك مثله إذا استمعت إليه مرة أخرى.

ابتعد بئس عن امه وهو يبكي، يشعر بغصة في حلقه و بغليان في عقله. ربما تكون أمه على حق، فبحّار يربكه فعلا، يجعله يفقد التوازن. قرر أن لا يراه مجدداً لتجنب هذه المشاعر المزعجة.

أرسم المشهد هنا

سر الشبكة

مرّت الأيام وبدأ بئس يشعر بالملل. يريد العودة إلى حدود العالم لرؤية صديقه بحار، ولكنه خائف. يوماً بعد يوم، يقترب من الحدود ثم يعود أدراجه.

كان بحار قد لاحظ اقتراب بئس. شعر بالندم لأنه جعله يفقد التوازن بكلماته الصادمة.

في الواقع، هذه السمكة الصغيرة البائسة لا يمكنها أن تفهم الحقيقة لأنها لا ترى الصورة كاملة. بحار يرى العالم من الخارج، بينما بئس لا يرى سوى عالمه داخل القفص.

قرر بحار أن يتوقف عن الحديث عن القفص الذي يعيش فيه بئس حتى لا يصدمه مجدداً. في صباح اليوم التالي، عندما رآه يسبح بالقرب من حدود الشبكة، أشار إليه وقال :

- هيه، بئس ! اشتقت إليك ! تعال وأخبرني كيف حالك !

كان بئس سعيداً جداً. نسي كل شيء وشعر بالبهجة و بحماس شديد لأنه يتحدث مع بحار، فهو يعرف الكثير من الأشياء.

- اهلا بحار ! اشتقت إليك أيضاً ! بالأمس كنت أفكر فيك. كان

لدينا حفلة كبيرة ورقصنا كثيراً !

- حقًا؟ وكيف تكون حفلاتكم داخل القفص؟ عفوا، أقصد... أقصد في بيتكم؟

تجاهل بئس كلمة "القفص" وواصل حديثه وكأنه لم يسمعها.

- حسناً، سأشرح لك، كل يوم نستمع لموسيقى حزينة، حتى نتذكر الأسماك التي ماتت في الحروب.

- اي حروب؟ و لماذا موسيقى حزينة؟ ألا تستمعون إلى موسيقى سعيدة؟

- أحياناً نستمع الى موسيقى سعيدة و لكن الحكماء يمنعونا من ذلك.

- ولماذا؟

- هكذا هي الامور، لا أدري لماذا. هكذا هي الحياة... حزينة.

- ولماذا؟

- لماذا ماذا؟ لا أفهم سؤالك.

- لماذا تقول إن الحياة حزينة؟ السمك بطبيعته يجب أن يكون سعيداً

! نحن الأسماك البرية، وكل الكائنات الحرة في البحر، نعيش دائماً

بفرح و سعادة.

- لا، الفرح خطير جدًا ! الأسماك التي تعيش في سعادة لا تخاف من شيء، وقد تعبر الحدود و يغضب حينها الحراس غضبا شديدا ! لهذا السبب لدينا أسماك حكيمة، الأسماك الكبيرة الحجم، تتحدث مع الصغار لتمنعهم من الفرح لأنه خطير جدًا ! الحزن يجعل الأسماك هادئة.

بِحار يستمع في صمت...

- بئس، لا أعرف ماذا أقول لك... أسماك المزارع تعيش فعلا في قفص ذهني، لا تعرف طعم الفرح و الحرية.

- ماذا تقول ؟ لم أفهم !؟ قفص ذهني ؟؟

- لا شيء لا شيء... و لكن ما هي الحرب التي كنت تتحدث عنها؟

- أوه، هناك دائما حروب. هذا طبيعي. بعض الأسماك مختلفة جدًا وخطيرة، لذلك يجب أن نحاربها.

- ومن يحارب ؟ هل شاركت في الحرب من قبل ؟

- لا، لم يكن لي الشرف. الحراس ينزلون شباكًا خاصة لتأخذ بعض الأسماك إلى الحرب.

فهم ببحار فوراً الحقيقة : الأسماك تُؤخذ إلى الأسواق، تباع و تطبخ وتنتهي في أطباق طعام هؤلاء الحراس و غيرهم من البشر ! أما بئس، فلا يستطيع رؤية ذلك من داخل قفصه.

- بئس ! استيقظ ! أنت لا تفهم شيئاً ! الحراس لا يجرسونكم بل يسجنونكم، وحكماؤكم ليسوا حكماء. إنهم مجرد أسماك كبيرة تأكل أكثر وتتحكم فيكم. ألا ترى أن مهمتهم هي فقط ابقائكم تحت السيطرة ! والحرب ليست كما تظن...

بئس لم يتحمل كل هذه الكلمات، رحل بسرعة و هو يشعر بغصة في حلقه، لا يريد سماع المزيد من هذه الكلمات المزعجة جداً. عاد إلى بيته دون أن يودع ببحار.

وهو في طريق العودة، أقنع نفسه بأن ببحار يغار منه. طبيعي، فالحياة في الشبكة افضل بكثير من الحياة في البحر ! بالتأكيد هو يغار منه !

أرسم المشهد هنا

المحارة البراقة

بعد بضع أيام، اقترب بئس مرة أخرى من حدود عالمه، لمح صديقه البحري من بعيد. شعر بسعادة كبيرة لرؤيته... فهو دائماً يحمل شغف المعرفة، لكنه يشعر أيضاً بالخوف من الإحساس الغريب الذي ينتابه كل مرة بعد الحديث مع بحار ثم مع والدته.

- هيه يا بحار، اشتقت إليك، لكن دعنا نتجنب الحديث عن الأشياء التي تزعجني.

- حسناً يا بئس. وأنا أيضاً اشتقت إليك. آسف، لم أقصد أن أزعجك.

قضى الصديقان اليوم بكامله يسبحان ويتحدثان مثل صديقين حقيقيين، رغم أن كل واحد منهما يعيش في عالم مختلف، فبينهما حاجز لا يمكن تجاوزه.

- الآن يجب أن أعود إلى البيت يا بحار. انتظر بفارغ الصبر اللحظة التي اتناول فيها قليلاً من البودرة وأغفو على ضوء محارتي المضيئة العجيبة.

- تفاجأ بحار، فهو لم يسمع يوماً عن محارة مضيئة، رغم أنه شاهد عجائب كثيرة في البحر و في المحيط.

- محارة مضيئة ؟
- نعم. إنها محارة صغيرة موجودة في كل البيوت، تصدر أضواء و اصواتا و صوراً بشكل مستمر. ألا توجد عندكم في البحر ؟ ههه... (بئس يشعر بالفخر).
- صور ؟ من أين تأتي هذه الصور ؟
- من الحراس بالطبع ! إنها تشرح لنا كيف تسير الحياة، ما يجب وما لا يجب فعله، كما أنها تساعدنا على النوم جيداً.
- كيف تساعدكم على النوم ؟ ما العلاقة ؟
- اجل تعمل المحارة بشكل أفضل مع البودرة البيضاء. تجعلنا ننام بسهولة. عليك ان تجربها بحار، ههه....
- لا، لا أحتاج إلى ذلك للنوم يا بئس. نحن في البحر ننام عندما نشعر بالتعب، ننام بشكل طبيعي. وأؤكد لك أن موسيقى البحر أجمل بكثير من صوت محارتك الغريبة.
- ما هي موسيقى البحر ؟
- إنها مزيج فريد من أصوات الدلافين، الحيتان، وجميع سكان البحر.
- احس انني أرغب في رؤية الحيتان والدلافين...

عاد بئس إلى منزله سعيدًا بهذا الحديث المختلف. شعر بفخر كبير
لامتلاكه أشياء لا يمتلكها صديقه البحري، من يدري؟ ربما يكون بحار
هو من يعيش في سجن في نهاية الأمر، لأنه لا يأكل البودرة البيضاء، ولا
يعرف المحارة المضيئة! ربما هو فعلا يغار منه. من يدري!؟

أرسم المشهد هنا

الحرب (في عيون الأسماك)

في اليوم التالي، اقترب بئس من الحدود ونادى صديقه :

- مرحبًا بحار، كيف حالك ؟ هل تريد أن أخبرك ما رأيت في المحارة العجيبة أمس ؟

- نعم، هيا أخبرني، أنا متشوق لمعرفة ذلك...

- هذه الايام المحارات المضيئة في جميع البيوت تبت باستمرار صوراً

عن الحرب القادمة، مع نفس الرسالة التي تظهر على الشاشة :

انتبهوا، العالم الخارجي خطير وغير عادل، يجب أن تبقوا هادئين

وحزينين، ممنوع منعا تاما السعادة أو الفرح. ابقوا في بيوتكم، نحن

نحرسكم و نحارب من أجلكم، نحارب الشر من أجل الخير.

ظل بحار يستمع في صمت. يبحث عن الكلمات ليقول شيئاً. كان ينظر

إلى بئس بنظرة ملئها الشفقة...

- انت فعلا بئس يا بئس.

- هههه. نعم انا بئس.

ضحك بئس في البداية ثم شعر انه لا يفهم ما يجري...لماذا ينظر اليه

صديقه بهذه الطريقة. ربما هو فعلا يغار منه ؟ لم لا ! فقد شعر بئس اليوم

أن لديه معارف مهمة ! فبدأ يشرح لصديقه كم هو محظوظ بالعيش في

شبكة او مملكته التي اختارها له الحراس، ومدى خطورة الاسماك الآخريين،
أولئك الذين يجب ان نحاربهم و نقضي عليهم جميعًا ...

لم يعد بحار يتحمل هذه المهزلة فصرخ :

- توقف ! استفق ! ما تقوله هراء...

- كيف ؟ هراء !؟

- اسمع يا بئس، أعرف أن البودرة التي تناو لها تمنعك من التفكير،
لكن حاول أن تبذل جهدًا من فضلك. جميع الأسماك مختلفة، ليس
من المفترض أن تكون متشابهة، وجمال العالم يكمن في هذا التنوع !
سنمل لو كنا نعيش فقط مع أسماك مثلنا. نحن في البحر لا نعرف
الحرب أبدًا...

- حقًا؟! لا يوجد من يحميكم ؟ لا يوجد حراس ؟

- لا يا بئس ! أنت مشوش تمامًا جراء البودرة، لا تستطيع التفكير،
كل ما تفعله هو ترديد ما يقوله لك حراسك. حاول أن تفكر جيدًا،
الحرب خرافة كبيرة، هي مصممة لتخديركم، لتبقيكم في دوامة
العنف والخوف.

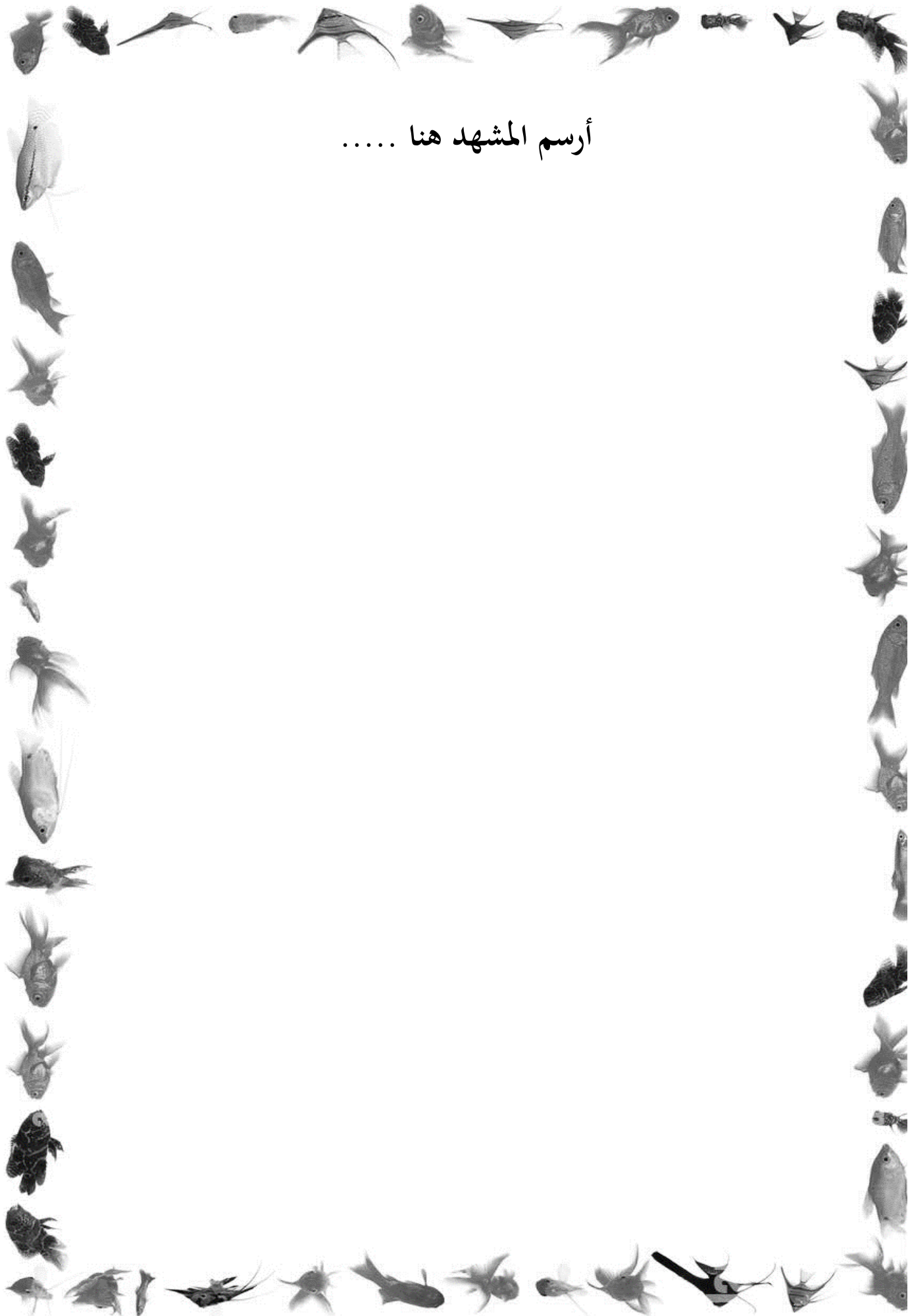
جميع أسماك المزارع تتلقى هذه الرسائل بشكل مستمر، وتخفض رؤوسها
ولا تجرؤ على أن تكون سعيدة أو تسبح بحرية. يقضون يومهم ساكنين،

مخدرين، وهم يراقبون محاراتهم وينتظرون البودرة. في هذه القفص، كل شيء معدّ لجعل الأسماك خاضعة، خاملة، مكتئبة!
نحن في البحر نعيش في تناغم. الحرب اختراع من حراسكم وهي خرافة كبيرة!

كان بئس غاضباً جداً، لم يشعر ابداً بغضبٍ كهذا، كيف يجيء صديقه البري أن يقول كلاماً كهذا عن حراسه. حراسه يقومون بحراسته و يحبونه و يحمونه، والدليل أنهم يمنحونه البودرة مجاناً.

القي بئس نظرة حادة الى بحار و عاد أدراجه الى البيت. توقف في منتصف الطريق وصاح :

- أنت لم تعد صديقي أيها البري، ارجع إلى بحرك. على أي حال، لا يمكنك أن تفهم، لأنك لا تملك محارة مضيئة!



أرسم المشهد هنا

ارادة التغيير

مرت أيام قليلة، وبدأ بئس يغيّر رأيه شيئاً فشيئاً. بدأ يشعر بالندم على ما قاله، فقد اشتاق لصديقه البحّار. كانت القصص التي يرويها بحار مليئة بالسحر، تجعله يتوق لاستكشاف العالم الموجود خلف الشباك. بئس لم يعد يجد متعة في صحبة أصدقائه القدامى، منذ لقائه ببحّار تغيّر شيء في داخله، حتى لو لم يعترف بذلك.

في كل مساء، يعود بئس إلى المنزل في الوقت المحدد، حيث يقدم لهم الحراس البودرة المعتادة، تلك البودرة التي تجعلهم يغطون في نوم عميق بلا أحلام. لكن بئس بدأ يشعر بأن لهذه البودرة تأثيراً سلبياً عليه. ربما ما قاله البحّار صحيح !

حين يتناولها، يشعر بتعب شديد، وكأنه مخدر. بدأ يعترف في داخله بهذه الحقيقة. لذلك قرر أنه يريد تجربة طعام جديد، طعام حقيقي.

في الغد، ذهب بئس إلى الحدود والتقى بصديقه البحّار:

- أريد أن أتذوق طعامك.

- تفاجأ بحّار بالطلب، لكنه ابتسم وقال :

- حسناً، سأجد طريقة لتحقيق ذلك.

في صباح اليوم التالي، كان بئس يلهو بالقرب من الحدود مع بحار، فجأة ظهر طائر كبير يحمل في منقاره سمكة صغيرة. ألقى الطائر السمكة بالقرب من بئس وطار بعيدًا.

- ما هذا!؟

- إنها سردين، هدية لك. طلبت من صديقي الطائر الكبير أن يجلب لك طعاما من البحر.

شعر بئس باضطراب. كلمة "طائر كبير" كانت غريبة عليه، لم يسمعها من قبل. كيف يمكن ان يكون هناك في "السجن" (كما تصفه أمه) كائنات تطير في السماء؟

كان بئس يرغب بشدة في تذوق السردين، لكنه كان يخاف من ردة فعل أمه.

- لا تخف بئس، لن تضطر لإخبارها بشيء. فقط جرب !

استجمع بئس شجاعته وابتلع السردين بسرعة قبل أن يتراجع عن قراره. كانت التجربة مختلفة تمامًا، لم يكن لديه كلمات لوصف الطعم.

في اليوم التالي، شعر بئس بطاقة غير مسبوقه. كان مليئًا بالحياة والنشاط. شعر ايضا أن عقله أصبح أكثر صفاءً، وأصبح قادرًا على التفكير بشكل أفضل.

ذهب إلى الحدود مجددًا لرؤية بَحَّار وطلب سردين آخر.

مرّت الأيام، وبدأ بئس يشعر بتغيير جذري في داخله. أصبح يقضي وقتًا أطول مع بَحَّار، يتحدثان عن أمور عديدة. لم يعد يشعر بالخوف أو الانزعاج أثناء النقاش. على العكس، كان يفرح بكل فكرة جديدة يكتشفها.

بَحَّار سعيد جدا بكل هذه التحولات، لذلك قرر أن يشرح الأمور أكثر لصديقه بئس

- سأخبرك شيئًا مهمًا يا بئس، البودرة التي تأكلها هي ما كان يمنعك من التفكير. إنها تعيق عمل غدة صغيرة في دماغك تُسمى الغدة الصنوبرية، وهي المسؤولة عن قدرتك على فهم العالم بشكل أفضل. فكر بئس في الأمر ثم سأل صديقه :

- حسنا، ولكن، لماذا يعطينا الحراس طعامًا مضرًا؟ أليس من المفترض أنهم يحموننا؟ أنا مرتبك. هناك أمور لا أفهمها.

ابتسم البَحَّار بجذر:

- الأمور معقدة بئس. دعك من هذا الآن، هيا لنسبح ونستمتع. رغم ذلك، بقيت الأسئلة تدور في ذهن بئس. وفي نهاية اليوم، قرر أن يزور جدته الحكيمة التي تعرف الكثير عن العالم.

أرسم المشهد هنا

البحث عن المعلومات

- جدتي، أريد أن أسألك سؤالاً، وأريد الحقيقة.
- حقيقة ماذا يا صغيري ؟
- البودرة البيضاء...هل سبق وتذوقت شيئاً مختلفاً عنها ؟
- يا له من سؤال يا صغيري، نعم، لقد أكلت الكثير من أنواع البودرة.
كان هناك في الماضي بودرة بألوان أخرى...
- لا يا جدتي، أنا أقصد شيئاً مختلفاً تماماً عن البودرة.
ساد الصمت. كان بئس مصراً على الحصول على إجابات.
- اسمعني جيداً يا بئس، سأخبرك بما أعرف، لكن لا تخبر والدتك
بشيء. هل اتفقنا؟
- أعدك يا جدتي، لن أخبر أحداً.
- أجدادي كانوا يقولون إنه في الزمن القديم، قبل زمن طويل جداً،
كنا جميعاً نعيش في البحر الكبير ونأكل ما نشاء، مثل السردين.
ولكن ذات يوم، تذوق أحد أجدادنا البودرة التي كانت تطفو على
سطح الماء. ومنذ تلك اللحظة، أصبح أسير الشبكة، وصار هو
وأحفاده من بعده مجرد أسماك مزارع.

البودرة كانت محرّمة. الحيتان حذرتنا مرارًا وتكرارًا وقالت : "لا تذوقوا هذا الطعام المحرّم أبدًا، فهي حلوة المذاق، ولكنها تحمل لعنة. من يتذوقها يخرج من جنة البحر ويصبح عبدًا لحراس الأقفاص".

شعر بئس بصدمة كبيرة، وكأنّ عالمه انهار من حوله. لم يستطع فهم كل هذه الأمور دفعة واحدة. استغرق الأمر عدة أيام ليستوعب كل هذه المعلومات الصادمة.

أرسم المشهد هنا

من هم الحراس ؟

في هذا الصباح، كان الصديقان يلعبان ويتحدثان. كان كلُّ منهما في عالمه، فهناك حدود تفصل بينهما، لكنهما كانا معًا. بائس لم يتوقف عن طرح الأسئلة.

بحار لم يعد يحتمل رؤية صديقه تائهاً في أفكار متناقضة. كان يخشى أن يصدمه إذا أخبره ببعض الحقائق، وكان يخشى أن يخسره، لكنه قرر المضي قدمًا بالرغم من ذلك...

- اسمع يا بائس، سأقول لك الحقيقة عن الحراس. الآن بعد أن أكلت

كمية كافية من السردين، أصبح عقلك قادرًا على استيعاب هذه

المعلومات وتحليلها. هل أنت مستعد ؟ هل تريد أن تعرف ؟

بائس يأخذ نفسًا عميقًا...

- نعم. أنا مستعد. هيا أخبرني بكل شيء !

- قد تكون صدمة كبيرة جدا هذه المرة، هل أنت متأكد أنك مستعد

؟ هل تعدني أنك لن تهرب كالمرّة السابقة ؟ حتى لو شعرت

بالارتباك... حتى لو شعرت بتلك الغصة في حلقك ؟

- نعم ! قلت لك أنا مستعد. هيا أخبرني ! لقد توقفت عن أكل

البودرة، أصبح ذهني صافيا الآن، وأستطيع أن أفهم كل شيء !

- حسنًا، الحراس الذين يعطونكم البودرة ليسوا حراسا في الحقيقة...

- لا افهم. اذا من هم؟

- إنهم بشر.

صمت ثقيل يجيم على المكان... بائس يشعر بالغصة في حلقه.

- لا افهم.

- إنهم فقط بشر !! الله الذي خلقك لم يضعك في هذه القفص !

البشر يختارون أنواعًا معينة من الأسماك لتربيتها في الأقفاص،

ويقدمون لها تلك البودرة البيضاء ليقوها مطيعة داخل القفص.

بمرور الوقت، تفقد الأسماك بصرها وسمعتها... فتنحول إلى أسماك

مزارع. الله لم يخلقك هكذا، لا يوجد أسماك مزارع في البحر الذي

أعيش فيه. أنتم شعب من أسماك المزارع التي تربي في هذه

الشبكات... على يد البشر الذين يسجنون الأسماك ! هل تفهم؟

- الحراس يسجنون الأسماك عوض أن يجرسوها!؟

بائس يشعر بغليان كبير في دماغه فقد استقبل كمية هائلة من

المعلومات دفعة واحدة. عقله الصغير، الذي بدأ للتو في العمل

بشكل جيد، لا يستطيع استيعاب كل ذلك. اصلا هو لا يفهم معنى

كلمة "بشر".

- وما معنى بشر؟

- إنهم مخلوقات خلقها الله لكنها أكثر ذكاءً بكثير منك. جسدياً، لا يشبهونك إطلاقاً... وهم يعيشون على اليابسة، يتنفسون الهواء، يحصلون على الأكسجين من الهواء. نحن لا نستطيع ذلك. نحن نستطيع الحصول على الأكسجين من الماء. البشر أذكىاء لدرجة أنهم يستطيعون أيضاً التنفس تحت الماء. أجل ! يرتدون بدلات خاصة مع زجاجات كبيرة ويأتون لمراقبتنا تحت الماء. لديهم حتى آلات تسبح في الماء أسرع منا !

بئس يحس فوضى كبيرة في عقله الصغير. يحاول أن ينظم كل هذه المعلومات تدريجياً في ذهنه.

- حدثني أكثر عن البشر يا بحار...

- إنهم مخلوقات مثلنا ولكنها ذكية جداً، أذكى منا بكثير. لديهم أدوات وآلات متطورة جداً، إنهم موجودون في كل مكان. لديهم لغة خاصة بهم. أسمعها أحياناً عندما يقترب البشر للصيد في منطقتي، بالنسبة لنا، مجرد ضوضاء... لكن لديهم كمّاً هائلاً، بل هائل جداً، من المعلومات عن العالم .

- ولماذا؟ لماذا البشر، مع تطورهم، يضعوننا في الأقفاس؟

- مرة أخرى، يسود صمت ثقيل، بحار لا يريد الرد.
- بأس يشعر بالغصة في حلقه. عالمه بأسره ينهار في ثواني وعقله يعمل بسرعة فائقة ليعيد تركيبه. يكاد يفقد وعيه.
- هيا أخبريني؟ كنت أظن أن الحراس يمنحونا الطعام لأنهم يحبونا ويريدون حمايتنا من الاشرار الذين يعيشون في الخارج. لماذا يضعوننا في الأقفاص ويعطوننا البودرة؟
- بحار يظل صامتًا.
- هيا أخبريني !
- قد تكون صدمة كبيرة لعقلك الصغير.
- هيا ارجوك قل لي، أريد أن أعرف كل شيء ولن اقترب من البودرة مرة أخرى. انتهى أمر البودرة ! أريد أن افهم كل شيء و ان أكون حرًا مثلك.
- حسنًا، سأخبرك. يضعونكم في الأقفاص... ليأكلوكم. هذا هو مصير الأسماك التي تظنون أنها ذهبت للحرب.
- بأس يفقد وعيه على الفور. الإجابة تجاوزت كل الاحتمالات التي كان بإمكان عقله أن يتخيلها.

أرسم المشهد هنا

السمكة الطائرة

استيقظ بئس بعد ساعات قليلة، وقد استعاد وعيه بعض الشيء. لا يزال تحت تأثير الصدمة، لكنه يثق بصديقه بـجّار. يعرف أنه يسير على الطريق الصحيح نحو الحرية، ويدرك تدريجيًا كم أن هذا الطريق صعب.

بـجّار تحدث معه لساعات عن البشر، وشرح له أيضًا أن البودرة التي كان يأكلها تتكون في الواقع من أسماك وحيوانات أخرى مريضة وميتة. كاد بئس أن يفقد وعيه مرة أخرى عندما علم أن من كان يظنهم حراسا يقدمون له لحم أقرانه ليأكله، بهدف قتل كل شعور بالفرح بداخله، وكل رغبة في الحرية.

التوقف عن تناول البودرة وتناول غذاء حقيقي وطبيعي غير بالفعل حياته. أصبح في حالة جسدية أفضل، ويفكر بطريقة أوضح، بل ويجرؤ حتى على الحديث مع الطائر الكبير...

- أيها العملاق الطائر! هل يمكنك أن تأخذني في جولة لأرى العالم من السماء؟ حتى ولو لبضع دقائق...

- لن تتحمل ذلك أيها الصغير! لا يمكنك التنفس في الهواء...

- سأحاول! سأتدرب على ذلك!

وبعد بضعة أيام من التدريب على حبس أنفاسه، انطلق بئس في جولة مع صديقه الجديد الطائر الكبير.

كان بئس يراقب المشهد بسعادة غامرة. لطالما اعتقد أن هذه السمكة الصغيرة أكثر ذكاءً من غيرها. ربما سيتمكن يوماً ما من تحرير كل شعبه من هذا القفص.

بئس يعيش بين الحلم والواقع، يطير في الهواء ممسكاً بمخالب الطائر الكبير العملاق. يرى مشاهد مذهلة يصعب عليه استيعابها...

- ما هذا؟

- أين؟

- هناك، انظر هناك!

- آه، هؤلاء صيادون، يعني بشر، على متن قارب صيد.

- ماذا يفعلون؟ لا أفهم. أعتقد أنني أرى بعض أقاربي... داخل شيء أبيض...

رأى بئس البشر لأول مرة. كاد يغمى عليه عندما أخبره الطائر الكبير أن هؤلاء البشر يأكلون سمكاً مشويًا، في طبق أبيض من السيراميك، موضوع على طاولة... ومعه بطاطا مقلية وطماطم، وهي نوع آخر من الطعام ينمو على الأرض.

إلى جانب ذلك، رأى أسماكًا تسبح في سجن صغير شفاف...

- ما هذا؟

- إنه حوض أسماك. البشر يضعون أحيانًا الأسماك الجميلة في أقفاص

صغيرة في منازلهم ليتمكنوا من مشاهدتها. إنهم يستمتعون بذلك.

بأس اكتشف عالمًا آخر خلال دقائق. الآن عليه أن يعود إلى الماء ليتمكن

من التنفس. اعاده الطائر الكبير الى الماء وأشار إليه بأن يرتاح قليلا، فقد

كانت هذه الرحلة مجهدة.

أرسم المشهد هنا

الحياة خارج الشبكة

في اليوم التالي، لم يعد بائس تحت اثر الصدمة. لقد فكر مليا في كل ما رأى في اليوم السابق و بدأ يتساءل، لم يعد مصدوما و لا خائفا، الآن يريد الإجابات. يريد أن يفهم... لماذا يفعل الحراس هذا، الحراس او الصيادون، أو البشر، مهما كانوا...

كان بحار والطائر الكبير يتحدثان ويتبادلان المعلومات، يحاولان تقديم افضل الاجابات لبائس، سمكة المزرعة، الذي لم يعد كذلك الآن، فهو يتحرر شيئا فشيئا. عقله يتوسع و يتحرر شيئا فشيئا.

كانا يشرحان له أن البشر ليسوا بالضرورة سيئين او اشرار...
قال الطائر الكبير:

- اسمع يا صغيري، جميع مخلوقات الله بحاجة إلى الطعام. البشر مخلوقات ذكية للغاية لدرجة أنهم طوروا أنظمة لتربية الأسماك بأعداد كبيرة. يقوم البشر بوضع نظام كامل حيث يتم حبس الأسماك، حتى لو كان لديهم انطباع أنهم أحرار، لأنهم يسبحون بحرية نسبية داخل سجنهم. ولكن كل شيء تحت السيطرة، خاصة تكوين المسحوق الذي يحول السمك من الداخل ليصبح سمكاً مطيعاً وبطيئاً وخاملاً وغير قادر على التفكير أو حتى الفضول، سمك مزرعة.

قال بحار:

- البشر ليسوا جيدين أو سيئين، هم ببساطة كائنات أكثر ذكاءً منا بكثير، ولا يدركون حتى أننا أذكىاء، ولنا مشاعر، وما إلى ذلك. هم بحاجة إلى الطعام، ببساطة ! لذلك يطورون استراتيجيات تربية مختلفة، سواء كانت أسماكًا أو دجاجًا أو ماشية، من أجل التغذية وزيادة عدد سكانهم. ويجب أن تعرف أن هناك العديد من الكائنات الذكية سواء في المحيط أو خارج قفصك أو على اليابسة. وهناك مستويات مختلفة من الوعي. في اليوم الذي يصبح فيه الكائن واعيًا، فإنه يتحرر، ولن يُستخدم كطعام للكائنات الأخرى، بل يصبح غير صالح للأكل بالنسبة لهم! ويمكنه أن يعيش حياته كما يشاء.

استمع بئس في صمت... أضاف الطائر الكبير:

يجب أن تعلم أيضا ان هناك كواكب اخرى مثل كوكب الأرض الذي نعيش عليه، يقول أسلافي أن هناك العديد من الكواكب مثل هذا الكوكب، وهناك أنواع مختلفة من الأسماك، والبشر، والطيور، وكائنات أخرى لا نعرفها.

- وما هي هذه الكائنات ؟

- يقول الأسلاف أنهم كائنات أكثر ذكاءً من البشر ويتعاملون مع البشر كما يتعامل هؤلاء معنا، يعني يسجنونهم و يخدرونهم بطريقة متطورة جدًا. على أي حال، لم يرههم أحد، ويقال أننا لا نستطيع رؤيتهم بأعيننا. كل واحد منا يعيش في عالمه في النهاية. فقط كن واعياً و حرا حتى لا يتغذى عليك كائن أذكى منك.

أرسم المشهد هنا

وداعًا ايها الشبكة !

في الصباح الباكر وصل الصيادون مع معداتهم، إنه يوم صيد كبير. تم اصطياد بئس في الشبكة العملاقة مع مئة سمكة أخرى، وكان يشعر أنها النهاية، لكنه لم يستسلم. فكر بسرعة وأرسل إشارة صوتية إلى أصدقائه بحار والطائر الكبير.

كان بحار على بعد أمتار من الصيادين، لكنه لم يقترب، فقد كان يعرف البشر. بالنسبة لهم، نحن مجرد سمك، لا أفكار لدينا ولا مشاعر. نحن فقط طعام.

وصل الطائر الكبير في غضون دقائق، وكان الصيادون في حالة دهشة، كانت هذه أول مرة يرون فيها مثل هذا الموقف ! استغل بئس هذه اللحظة، وتمسك بالطائر الكبير الذي حمّله في محالبه وألقاه بعيدًا، بعيدًا عن القفص الكبير.

اوشك بئس أن يموت، كان يتنفس بصعوبة، انضم إليه صديقه بحار و ساعده ليستعيد قواه، ثم انطلقا معًا إلى البحر لاكتشاف العالم الحقيقي. صاح بئس :

- وداعًا ايها الشبكة !

وقف بئس للحظة وابتسم. شعر بالقوة التي اكتسبها، وعرف أن حياته قد تغيرت إلى الأبد. قرر أن يغير اسمه الآن، وأن يُسمى "الشجاع"، لأن كل لحظة من هذه الرحلة كانت مليئة بالشجاعة.

- اسمع يا بحار، قررت أن اغير اسمي. من الآن فصاعدا اسمي شجاع. لم أعد بئس بعد الآن.

كان شجاع في غاية السعادة، كان متحمسًا لاستكشاف البحر والمحيطات واكتشاف أنواع جديدة من الكائنات البحرية و البرية و الفضائية وأماكن جميلة لم يرها من قبل.

كانت هذه حكاية السمكة الشجاعة التي أصبحت مشهورة في كل البحار و التي سافرت و اكتشفت الكثير من العجائب....

تابع حكاية السمكة الشجاعة في الحلقة القادمة و على قناة اليوتيوب

loupo world

الفهرس

3	المقدمة
4	اللقاء الاول
7	العالم الحقيقي
11	البودرة البيضاء
15	سر الشبكة
20	المحارة البراقة
24	الحرب (في عيون الأسماك)
28	ارادة التغيير
32	البحث عن المعلومات
35	من هم الحُرَّاس ؟
40	السمة الطائرة
44	الحياة خارج الشبكة
48	وداعًا ايها الشبكة !